المقدمـــة

المقدمة

موضوع البحث :

دراســة المقامــات العربــية فى القرن الثامن ، من حيث اتجاهاتها الموضوعية فى هذه الفترة بالــتحديد ، وكذلــك دراسة سماتها الفنية ، فقد اختلفت مقامة هذا القرن عن المقامات السابقة لها كما سيتضح أثناء البحث إن شاء الله .

وقــد وردت فكرة هذا البحث نتيجة الاطلاع على بعض الكتب التى تناولت بالدراسة فن المقامة فقط دون غيره من الفنون الأدبية النثرية ، وقد انقسمت تلك الكتب إلى فئتين :

- فــئة تناولــت المقامات التى كتبها بعض الكتاب ، أمثال بديع الزمان الهمذانى ت ٣٩٨هـ ، والحريرى ت ٥١٦هـ ، وغيرهما بالشرح والتحليل .
- وفــئة تناولت فن المقامة فى فترة زمنية معينة مثل كتاب " فن المقامات فى القرن السادس " د. حسن عباس

ولكــل فئة مزايا وعيوب . فدراسة مقامات كاتب بعينه تحصر البحث فى إطار محدود ، وعلى النقــيض من ذلك دراسة المقامات فى زمن معين فإنها تدفع الباحث لدراسة مقامات عديدة مختلفة فيما بينها ، بالإضافة إلى دراسة كتابها وأساليبهم فى الكتابة . ومن هنا كان اختيارى لموضوع البحث .

أما عن تخصيص بحثى بالقرن الثامن :

فــلأن القــرن الســابع كان فترة انتقالية للحكم من يد الأيوبيين إلى المماليك وكان فيها حروب وصراعات سياسية حول السلطة والسيطرة على الحكم وفى مثل هذا المناخ لا يسود البلاد استقرار مما يؤثــر بدوره على مختلف جوانب الحياة وعلى أفراد المجتمع ، فما بالنا بالشعراء والكتاب وأصحاب الحس المرهف والذوق الرقيق الذين يعبرون عن البلاد وما بها فى أشعارهم وكتاباتهم . وفى ظل هذه الفوضى لا ينمو الأدب ولا يزدهر .

وبمقدم القرن الثامن استقرت الأمور فى البلاد وأصبحت السلطة فى يد المماليك ، وعلى الرغم مــن أن حــياتهم حياة عسكرية إلا أنهم اهتموا بالعلم والعلماء وشجعوا الأدباء وأغدقوا عليهم الأموال وأنشــأوا المــدارس لتعلــيم الأطفال والنشء ، ومن ثَمَّ فقد انتعشت البلاد مما عاد على الحياة الأدبية بالثراء والازدهار .

أهمية البحث

المقامـــة فن عربى أصيل لا جذور له فى الآداب الأوربية ، واشتهر به الكتاب العرب فكان هذا الفن الفريد من نوعه المختلف عن غيره من فنون الأدب العربى جديراً بالاهتمام بصفة عامة .

وقـد كـان هـدف المقامة الأول والغاية المرجوة منها هو تعليم النشء اللغة العربية وأساليبها ومفـرداتها وتراكيبها ، وإنشاء جيل يجيد اللغة ويعرف خفاياها ، ومع تقدم الوقت لم تُفقَد هذه المهمة الأساسـية ، وإنما أضيف إليها ، فنجدها فى القرن الثامن تعبر عن حوادث البلاد ونوائبها ، وتتحدث عـن العلوم المختلفة ، ويمتزج فيها الجد بالهزل ، وتذكر سمات الحياة بكافة ألوانها ، ووفقاً لذلك فقد أصبحت المقامة تقوم بدور الأدب ككل فى وصف حال العصر وما فيه من محاسن ومساوئ .

عند قراءتى بعض مقامات القرن الثامن وجدت فروقاً واختلافات بينها وبين المقامات فى القرون السـابقة ، ورأيـت هـذه الفـروق طـريقاً نحو التطور قد مرت فيه المقامة عبر تاريخها الطويل . ومـن هـنا كانـت دراسـتى للمقامـة فـى القرن الثامن لرصد الجديد فيها ، وكذلك ما توضحه لنا من سمات الأدب فى هذا العصر .

وقـد رأيت توافر عنصرى التشويق والإثارة فى مقامات هذا العصر ، مما يجذب الدارس إلى قـراءتها أو لدراسـتها والاهـتمام بها ، بالإضافة إلى وجود النادرة والفكاهة والطرفة الأدبية فيها ، فهـذه المقامـات لا تتصـف بـالجمود أو الانصـباب فـى قالـب معيـن ، وإنمـا تجديد وفاعلية باستمرار متجاوبة مع سمات هذا العصر .

وعـند بحـثى عن أصحاب المقامات فى هذه الفترة وجدت أسماء بعض الكتاب والشعراء الذين كتـبوا مقامة واحدة أو عدة مقامات ، ولكن أثناء البحث استطعت التعرف على العديد من هؤلاء الذين طـرقوا باب هذا الفن ، ففُتحت أبوابه لهم على مصارعها فأجادوه أيما إجادة كإجادتهم لغيره من فنون الأدب ، وذلـك يفـيد موضوع البحث وينميه من حيث الدراسة ويزيده قوة وخاصة مع وجود بعض المقامـات المخطوطة فإن ذلك يعنى إحياءً لها وحفاظاً عليها وعدم سقوطها من يد الزمن ، مع دراسة أساليب أصحاب هذه المقامات وطريقتهم فى الكتابة .

الصعوبات التى واجهت الباحثة أثناء البحث

العثور على نصوص المقامات نفسها ، إذ توجد متفرقة فى الكتب والمجلدات ، كما أن كتابها قد اشتهروا بكتابة الشعر والرسائل والكتابة فى الدواوين ، فلم تكن كتابتها هى العمل الأساسى ، وإنما هى عمل إضافى وتال للعمل الأول ، فلم تكن مقاماتهم معروفة لدى الجميع .

وجود نصوص معظم المقامات دون تعليق أو شرح لها أو حتى إشارة إلى ألفاظها الغريبة وغير المتداولة ، وهناك مقامات تجعل الباحث غير قادر على تحديد موضوعها فيحدث لبس أحياناً ، كما أن مفردات المقامات فى الغالب غير شائعة الاستعمال ، فضلاً عن اعتماد الكاتب على التورية كأساس من أسس بناء المقامة .

سقوط بعض الكلمات من المقامة المخطوطة ، أو كونها غير واضحة ،مما يؤدى إلى صعوبة قراءة المخطوطة ، والوصول إلى معناها المقصود .

عناية أصحاب الأدب بالنتاج الشعرى ، لكتاب المقامات ، والاقتصار على الإشارة إلى مقاماتهم دون شرح أو تعليق و إغفالها .

إطلاق لفظ " رسالة " على بعض المقامات مما يؤدى إلى صعوبة البحث ، وكذلك تندرج بعض المقامات فى باب المفاخرات أو المناظرات ، وإذا كانت المفاخرات أقرب إلى المقامات منها إلى الرسائل ، كما أن المفاخرات تعد نوعاً أو ضرباً من المقامات وقريبة الصلة بها .

ما كتب من دراسات قديمة وحديثة عن موضوع البحث :

ما رأيته من دراسات حول موضوع هذا البحث كانت دراسات تتناول دراسة الأدب ككل ابتداء من العصر الجاهلى إلى أن تصل للعصر الحديث ، واصفة كل تطور الأدب فى كل عصر على حدة دون تركيز على شعر أو نثر ، بل تتناول الدراسة مختلف الفنون وما طرأ عليها من تغيير أو تجديد ومنها المقامات ، وهناك كتب اختصت بدراسة الأدب فى العصر المملوكى ، وكانت إشارتها إلى المقامة إشارة عابرة ، وعند ذكر كتابها تتجه الدراسة الأساسية نحو أعمالهم الشعرية دون النثرية ، ولم أجد فى الدراسات القديمة أو الحديثة دراسة قد اختصت بموضوع هذا البحث ، ومن الدراسات التى اهتديت بها فى هذا البحث دراسة د. شوقى ضيف فى كتابه (**المقامة**) الذى تناول تاريخ المقامة وأهم أعلامها وروادها منذ نشأتها الأولى على يد " بديع الزمان الهمذانى " وتطورها فى القرون

اللاحقـــة حتى وصل إلى العصر الحديث ، وكذلك الحال فى كتاب (**نشأة المقامة فى الأدب العربى**) لمؤلفه حسن عباس .

وأمـــا كتاب (**عصر الدول والإمارات**) للدكتور شوقى ضيف ، وكتاب د. محمد زغلول سلام (**الأدب فـــى العصر المملوكى**) ، وكتاب د. محمد كامل الفقى (**الأدب العربى فى العصر المملوكى**) فقـــد تناولـــت جمـــيعها المقامة فى العصر المملوكى وأهم سماتها وأشهر أعلامها بإيجاز ، ولكنها فى الأدب عامة شعراً ونثراً ، وليس للمقامة تحديداً .

ومن أهم الدراسات التى أفادتنى فى دراسة المقامة فى الأندلس فى عصور مختلفة وفى التعرف علـــى كتابها كتاب (**النبوغ المغربى فى الأدب العربى**) لعبد الله كنون ، وكتاب (**الأدب المغربى**) د.محمد الصادق عفيفى ، أما كتاب (**فن المقامات بالأندلس ، نشأته وتطوره وسماته**) لقصى عدنان حســـينى فقد تناول تاريخ المقامة الأندلسية فى مختلف العصور ، وتناول الجانب الفنى فيها والدراسة الموضـــوعية لها وأكثر كتابها ، وكذلك كتاب (**فن المقامة فى القرن السادس**) للدكتور حسن عباس الذى اختص بدراسة المقامة من جميع جوانبها فى هذا القرن .

وكـــتاب (**مقامـــات ورسائل أندلسية نصوص ودراسات وترجمة**) لمؤلفه د. عبد اللطيف عبد الحليم ، الذى قام بتحليل بعض نصوص المقامات الأندلسية وشرحها بصورة مجملة .

وكتاب (**بديع الزمان الهمذانى ــ المقامات**) لمؤلفه فاروق سعد تحدث فيه عن مقامات بديع الزمان وأتبع ذلك بنُبذة مختصرة عن بعض المقامات فى عصور لاحقة .

ما فات هذه الدراسات وعيوبها :

دراســـة المقامـــات من الناحية التاريخية مع عدم الاهتمام بدراستها من الناحية الفنية إلا نادراً ، إضـــافة إلى عدم العناية الكاملة ببعض المقامات التى ذكرت فى الكتب ، وقد أشارت بعض الكتب إلى مقامـــات لكـــتاب مشهورين ، ولكنها اكتفت منها بذكر اسمها فقط ، دون تدوين نصوص أو فقرة من فقـــراتها ، وهذه المقامات تعد مفقودة ، ولم استطع العثور عليها مع استمرار بحثى عنها ، وبذلك فإن موضوع البحث لن يتطرق إليها بالدراسة والتحليل لعدم وجودها ، وأما المقامات الموجودة فقد ذكرت هـــذه الكتب شيئاً من نصها أو عبرت عن موضوعها العام دون تناولها تفصيلاً كفن من الفنون الأدبية الحرية بالاهتمام والدراسة .

وليس المقصود بتجميع هذه النصوص حصرها جميعاً ؛ لأن وظيفة الأدب ليست الحصر ، وإنما الدراسة أو حتى العمل على أن تبقى نصوصها فلا تفقد ، مما يجعلها بعد ذلك أمام أعين المتأخرين من هواة الأدب وأربابه .

الخطة المقدمة للبحث :

١) تناول البنية الفنية للمقامة بعد التقديم لها بمقدمة عن علاقة المقامة بالقصة ، وتضمنت البنية الفنية ستة فصول هى :
الـــراوى والشـــخوص المقامـــية ــ الحـــوار ــ الحـــبكة ــ التنغـــيم ــ الصور البيانية ــ الاستشهاد والاقتباس .

٢) لقـــد اختلفـــت موضـــوعات المقامـــة كمـــا اتضـــح من خلال تناولها عبر القرون ، فرأيـــت أن أبحـــث هـــذه الموضـــوعات وأن أبيـــن مـــا اتفق منها مع موضوعات المقامـــة فـــى العصور الماضية ، وما جد من موضوعات قد أنشأتها ظروف العصر وتطور فن المقامة ذاته .

٣) ومما لفت نظرى واسترعى انتباهى وجود بعض المقامات التى تتفق فى موضوعها ، الأمر الذى حثنى على أن أعقد مقارنة بين تلك المقامات .